

أضواء البيان

@ 256 { لَحَافِظُونَ } راجع إلى الذكر الذي هو القرآن . وقيل الضمير راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كقوله : { وَاللَّامَةُ يَعْمُومُكَ مِنَ الذَّاسِ } والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق . قوله تعالى : { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه جعل في السماء بروجاً ذكر هذا أيضاً في مواضع آخر كقوله : { تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا } وقوله تعالى : { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ } ، والبروج جمع برج . . .
واختلف العلماء في المراد بالبروج في الآيات المذكورة فقال بعضهم : البروج الكواكب ، وممن روي عنه هذا القول مجاهد وقتادة . وعن أبي صالح : أنها الكواكب العظام ، وقيل : هي قصور في السماء عليها الحرس . وممن قال به : عطية ، وقيل : هي منازل الشمس والقمر قاله ابن عباس . وأسماء هذه البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . . .
قال مقيدة عفا الله عنه : أطلق تعالى في سورة النساء البروج على القصور الحصينة في قوله : { أَلَيْسَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ } ومرجع الأقوال كلها إلى شيء واحد . لأن أصل البروج في اللغة الظهور ومنه تبرج المرأة بإظهار زينتها فالكواكب ظاهرة والقصور ظاهرة ومنازل القمر والشمس كالقصور بجامع أن الكل محل ينزل فيه ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ السَّامِيَّةَ لِلنَّاطِلِينَ } . صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه زين السماء للناظرين وبين في مواضع آخر أنه زينها بالنجوم ، وأنها السماء الدنيا كقوله : { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ السَّامِيَّةَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ } ، وقوله : { إِنَّ زَايِجًا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةٍ الْأَكْبَرِ } . قوله تعالى : { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَغْرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ } .
صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أنه حفظ السماء من كل شيطان رجيم وبين هذا المعنى في مواضع آخر كقوله : { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ } وقوله : { وَجَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا } وقوله : { فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْأَنَّهُ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا } وقوله : { إِنَّ زَنْهَمُ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ } وقوله : { أَمْ لَهُمْ } .